(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}

[النساء:١٦٣-١٦٦]

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلَّا الله.

يقولُ -سبحانه- مخاطبًا نبيَّه: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} فليسَ هو صلَّى الله عليه وسلَّم ببِدعٍ من الرسلِ، بل هو رسولٌ من رسل اللهِ، ولكنَّه خاتمُ النبيِّين، فاللهُ أوحى إليه ونبَّأَهُ وأرسلَهُ كما أرسلَ من قبلهُ، وكذلك ما أوحاهُ إلى الأنبياءِ من قبل من التوحيدِ كذلك أوحاهُ إلى محمَّدٍ، فقد جاءَ الرسولُ بمثل ما جاءَ به من قبلَه من الرسلِ، فدعوةُ الرسلِ واحدةٌ، دعوةُ الرسلِ واحدةٌ، كلُّهم جاؤوا بالدعوةِ إلى التوحيد، عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ لهُ، واتِّباعُ شرعه الَّذي شرعَ لهم.

ونوحٌ هو أوَّلُ الرسلِ {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} فنوحٌ -عليه السلام- هو أولُ رسولٍ إلى أهلِ الأرضِ، ثمَّ أرسلَ من بعده رسلًا وقصَّ علينا أخبارَهم من بعد نوحٍ هود من بعد هود صالح، من بعد قوم نوح عاد من بعدِ عاد ثمود، فما جاءَ في قصصِ الأنبياءِ فاللهُ يذكرُهم على الترتيبِ: نوحٌ فهودٌ فصالحٌ فلوطٌ وشعيبٌ وهكذا، ومن بعدِ الجميعِ موسى وهارون -عليهما الصلاة والسلامُ-، قالَ تعالى: {كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ} وهذا عطفُهُ من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، فلمَّا أخبرَ عن نوحٍ والنبيِّين من بعده خصَّ إبراهيمَ بالذكرِ، خصَّه بالذكرِ ولأنَّه أبو الأنبياءِ فالنبوَّة من بعد إبراهيمَ في ذريَّته خاصَّة {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [العنكبوت:٢٧]، فآدمُ أبو البشرِ، أبو البشريةِ عامةً، ونوحٌ هو الأبُ الثاني؛ لأنَّ اللهَ أهلكَ جميعَ الناس بالطوفانِ، أغرقَ جميعَ قومِ نوحٍ، قال الله: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ} أي ذريَّة نوحٍ {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} [الصافات:٧٧]، فبعدَ نوحٍ كلُّ البشريةِ من ذريَّته، ومن ذرِّيَّته هودٌ وصالحٌ أولئك الأنبياء، وإبراهيمُ هو أبو الأنبياءِ، فالنبوَّةُ في ذريَّته -عليهم جميعًا الصلاة والسلامُ- وإبراهيمُ {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} معروفٌ أنَّ إسماعيلَ وإسحاقَ ابنان لإبراهيمَ، ومن، وجميعُ الأنبياءِ بعدَ إبراهيم هم من ذريَّةِ إسحاق إلَّا نبيَّنا -صلَّى الله عليه وسلَّمَ- فإنَّه من ذريَّة إسماعيلَ {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ} والأسباطُ قيلَ أنَّهم أولادُ يعقوبَ، وقيلَ أنَّهم أنبياءُ بني إسرائيل، أنبياءُ بني إسرائيلَ، فاللهُ بعثَ من بني إسرائيلَ أنبياءَ كثيرين، وجعلَ بني إسرائيلَ شعوبًا وجعلهم أممًا {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} [الأعراف:١٦٨]، {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} [الأعراف:١٥٩-١٦٠]، ثمَّ خصَّ من أولئك عيسى وأيوب ويونس {وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}.

{وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} كهودٍ وصالحٍ ولوطٍ {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} فللهِ رسلٌ لم يقصَّهم علينا، فمن الإيمانِ باللهِ الإيمانُ بالرسل كلِّهم، الإيمانُ بالرسل أصلٌ من أصول الإيمانِ (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) فنؤمنُ برسلِ اللهِ عمومًا، إجمالًا ما علمْنا منهم وما لم نعلمْ، وما علمْنا منهم نؤمنُ بهم خصوصًا وتفصيلًا {وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}.

ثمَّ خصَّ موسى بالذكرِ وخصَّه بالتكليم {وَكَلَّمَ اللَّهُ} بالرفعِ {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} والجهميَّةُ المعطِّلةُ يريدون أنْ يحرِّفوا كلامَ اللهِ فيقولون "وكلَّمَ اللهَ"، "وكلَّمَ اللهَ موسى" وعلى هذا فلا يكونُ لموسى خصوصيَّةٌ، هل لموسى خصوصيَّةٌ في هذا؟ كلُّ مؤمنٍ يكلِّمُ اللهَ، يكلِّمُهُ بدعائِهِ وذكرِهِ (إذا قامَ أحدُكم في الصَّلاةِ فإنَّهُ يناجي ربَّهُ) فالعبدُ يُكلِّمُ ربَّهُ، لكن الخصوصيَّةُ لآدمَ لموسى أنَّ اللهَ كلَّمَهُ، كلَّمَهُ نداءً وكلَّمَهُ نجاءً، يعني ناداهُ وناجاهُ {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم:٥١-٥٢]، فهو كليمُ اللهِ ونجيُّ اللهِ، نجيُّه يعني الَّذي هو مُناجى الله، ناجاه وناداهُ -عليهم الصَّلاة والسَّلامُ-، واللهُ أعلمُ.